

الأربعون القيادية من الأحاديث النبوية

جزء (١٠)

إعداد وتعليق
د. حمزة بن فايع الفتحي

١٤٤١هـ / ٢٠١٩م

الافتتاحية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...
أما بعد :

فيبقى رسولنا الكريم أعظم قادة التاريخ البشري، بما خلفه لنا من معانٍ خالدة، وصفات بليغة، وتوجيهات فريدة . ولا تزال سيرته عليه الصلاة والسلام تغزر بالمعالم القيادية والسمات الرائعة فقها وشأنا ومنهاجاً وإدارة، وخلق بالمسلم الواعي مراجعتها على الدوام واستلهاهم الدروس والمعاني منها .

وتظل المجتمعات البشرية في حاجة ماسة إلى الفكر القيادي ونظمه ومحدداته وصفاته، لنتنظم حياتها، وتطيب شؤونها، وتقلل من آثارها السلبية في كافة مجالات الحياة ، وتراثنا خير مصدر لذلك، ومن المؤسف أننا قصرنا في كثير من المؤسسات والإدارات بسبب خفاء هذا الفقه، وضعف التأهيل البشري فيه..! وإبان ظهوره مؤخراً كان التعويل على مخرجات الدراسات الأجنبية ، وأغفل التراث ونصوصه ومناهجه، فاتعدت الهمة للعودة إلى التراث السني، والمنهاج النبوي لاستقاء (الأربعين القيادية) النبوية - على طريقتنا المعهودة- من هديه وسمته وتوجيهاته عليه الصلاة والسلام، ففُتنت أربعون ، ودرّ مكنون، ولؤلؤ مصون، حريّ بنا تقلدها، وتحلية المؤسسات بنفائسها ، وتزيين الأفراد بتيجانها ، ففيها العظة والحكمة، والمنهج والمسار، والدليل والمنار . ولعلها تعالج ضعف ما انتاب المؤسسات والإدارات من ضعف قيادي، حتى فقدت الأهلية، وقل تأثيرها، وتراجعت ثمارها ، والله المستعان .

ويحسن بنا هنا، النقل من مرقوم سابق، في سماته القيادية عليه الصلاة والسلام.. فأقول : من صغره صلى الله عليه وسلم وعبقريته ظاهره، وهمته عالية، والنفس القيادي يلوح، فقد كان يوضع لجده عبد المطلب سرير بجانب الكعبة، فيُدفع عنه كل الصبيان، حتى يجيء رسول الله عليه الصلاة والسلام، فيحاولون دفعه، فيمنعهم جده عبد المطلب قائلاً: (دعوا ابني هذا فإنه سيكون له شأن)...!

واستنبط أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله علو همته من صباه، وعدم رضاه باليسير والقليل...!

إذا ما علا المرء رام العلا/ ويقتع بالدون من كان دوناً...!

واصطفاه الباري تعالى لرسالته، ورفع له ديناً وعقلاً وخلقاً، فجمع ما بين منائر الوحي، وفتانة السلوك الاجتماعي، والذي جعل من سيرته مرجعاً للعبرية القيادية (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) سورة الأحزاب. ومن أجل صفاته القيادية: الصدق والشجاعة، وقد اعترف بها المشركون، ولقبوه قبل البعثة (بالصادق الأمين) وكانت إحدى علامات هرقل الرومي في الاستدلال على نبوته (هل كنتم تتهمونه بالكذب) فقال: لا، فقلت: ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله...! وأما الشجاعة فورايد المنايا، حاضر في كل المواقف، ويكفي قول علي رضي الله عنه (كنا إذا اشتد بنا البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم).

ومنها: التروي في اتخاذ القرارات والدليل أن الأنصار لما انتهوا من عقد بيعة العقبة الثانية قالوا: "يا رسول الله، إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيفنا" فقال صلى الله عليه وسلم: (لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم).

وإشراك الأمة والأتباع في القرارات ومشاورتهم على الدوام (أشيروا علي أيها الناس) ردها في مواطن مختلفة كبدر وأحد، تحقيقاً للنهج القرآني (وشاورهم في الأمر) سورة آل عمران. واستكمالاً لنهج المجتمع المسلم (وأمرهم شورى بينهم) سورة الشورى. بل ذلك كان كثيراً وطبعة له، قال أبو هريرة رضي الله عنه (ما رأيت أحداً قط، كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم) أخرجه أحمد.

ومنها: التضحية والخدمات الاجتماعية معالم قيادية، أحرزها المصطفى المختار من قبل البعثة، فلما عاد من حراء، قال لزوجته خديجة رضي الله عنها (لقد خشيت على نفسي)، فقالت: كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق).

وكان يفتح باب الحوار والمراجعة كما في اختيار موضع بدر، وحكم الأسرى، وعاد إلى رأي الحباب بن المنذر رضي الله عنه: إن هذا ليس بمنزل...!

ومنها: بُعد نظره العجيب، كما صنع في (صلح الحديبية) من الصبر وقبول غبن الصلح ومضضه، ليتفرغ للدعوة وإظهار سماحة الإسلام، وفضح غرور القرشيين وعدم صلاحيتهم للإشراف على مكة وحرمها، وكذلك تركه لقتل المنافقين برغم استحقاتهم (لئلا يتحدث العرب أن محمدا يقتل أصحابه) كما في الصحيحين.

وكذلك: خدمة الناس ومشاركتهم الأعمال والمهام: كما شارك في بناء المسجد وحفر الخندق برغم المتاعب والجوع، ولكنه رسخ في عقولهم فضيلة العمل والتواضع واحتمال الشدائد، وسيد القوم خادهم، كما ينقل..!

وتهيئة الشباب والصف الثاني والقواعد البديلة: كما حصل من تربية ابن عباس على العلم، وأسامة للقيادة، ومصعب للدعوة، وترك مهاجري الحبشة إلى سنة (٧) للهجرة للأحوال الطارئة.

ومع بأسه وحزمه لم تنأ عنه صفات الرحمة والعفو: في مظانه التاريخية، قال تعالى (بالمؤمنين رؤوف رحيم) سورة التوبة، ولما فتح مكة ذلك الفتح الأعظم، عفا وسامح وقال (أذهبوا فأنتم الطلقاء).
• ومن صفاته أيضا: إعداد الرجال وصناعة الأبطال كما صنع في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وخلّص جلسائه كما قال علي رضي الله عنه: (كنت أكثر أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: جئت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر..) كما في الصحيحين.

ومن صفاته: الثبات على مبادئه ودعوته، برغم العروض المقدمة، والإغراءات السالبة، والتي وضعتها قريش ومن خلال نائبها عتبة بن ربيعة (... يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر، مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك...) فما زاد رسول الله على الإنصات وتلاوة صدر سورة فصلت التي قطعت عنقه، وقرّعت أذنه...!

ومنها: حزمه الإداري، مثل ما صنع مع الشاعر الهجاء أبي عزة الجُمحي، وكان عفا عنه في بدر، فعاد في أحد وأسرّه، فأمر به وقتل، وقال: (لا ترجع إلى مكة، فتمسح عارضيك، وتقول: خدعت محمدا مرتين، لا يلدغ المؤمن من جحر واحدٍ مرتين).

وهو لئّن رفيق وقت الرفق، شديد متين وقد الشدة والحسم: يحمي الضعفاء، ويساعد الموالى والمساكين، ويقول (إخوانكم خولكم..) كما في الصحيح، وتأتيه الجارية من نساء المدينة فيقضي حاجتها حيث شاءت.

ومنها: عدالته الفذة، وعيشه الزاهد الفريد، وحرصه على محاسبة أقاربه (لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها).

وكذلك الحرص على التجميع ونبذ الخلاف والتقطيع، مما يزينه رواة الأخبار والشائعات، وقد صح قوله: (يد الله مع الجماعة) وقوله (إن الشيطان قد ينس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم) ويروى (لا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا، فَإِنِّي أَحَبُّ أَنْ أُخْرَجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ) كما عند الترمذي. وكان يُشيد ويشجع ويرفع المعنويات، حتى يجعل من أتباعه قوة متلاحمة، وفئة ترهبها الخصوم، فيريهم في بدر مصارع القوم، وفي الخندق يبشرهم بالعاقبة والفتوحات، ويقول (الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير إليهم).

وهو الصبور القنوع الحكيم، الذي يشتري الأرواح بالدنيا ولعاعتها، ويرسخ مبادئ آخرين حينما يكلمهم لإيمانهم، كما فعل في حنين، فأعطى المؤلفة قلوبهم عطاءً من لا يخشى الفقر، قال أنس رضي الله عنه: (إِنَّ كَانَ الرَّجُلُ لَيْسَ لِمَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسَلِّمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا) وهذا تربية رسول الله ومقصده الإداري والاستراتيجي.

وهو القائد البارز للناس: فلا حجاب ولا ابتعاد، وبابه مفتوح لكل طارق، قاض للحوائج ومجيب للسائلين، قال جرير رضي الله عنه (ما حجبني رسول منذ أسلمت، وما رأني إلا تبسم في وجهي). ويستطيع كل أعرابي، وصغير وكبير الوصول إليه، ومثل ذلك مع ما فيه من متاعب، إلا إنه يصل إلى الأفئدة بلا استئذان (وإنك لعلى خلق عظيم) سورة القلم.

وهو الشخصية المعتدلة، التي لا تغضب على كل حال، ولكن في مواضعه الصحيحة، كانتهاك الحرمات، وقال لرجل (لا تغضب) وصح قوله (ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب). وقد حاولت في هذه (الأربعين) تقرير بعض ذلك بالأدلة النبوية، لنؤسس لهذا العلم المضيق، والذي يراد عزله عن تراثنا وحضارتنا الإسلامية، ونسبته إلى أمم أخرى، والله الموفق....

١- الحديث الأول: القائد المناسب:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: (لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله". قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، قال: فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلهم يرجون أن يعطاها، فقال: "أين علي بن أبي طالب؟" فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: "فأرسلوا إليه". فأتى به، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له، فبرأ، حتى كان لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: "يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟" فقال: "انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله، لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً؛ خير لك من أن يكون لك حمر النعم". البخاري (٢٩٤٢) مسلم (٢٤٠٦).

فيه فضل علي رضي الله عنه واستحقاقه للقيادة، ومكانته من رسول الله، وعلمه بقدرته القيادية والفروسية.

قال النووي رحمه الله: "وفي هذا الحديث معجزات ظاهرات لرسول الله صلى الله عليه وسلم قولية فعلية، فالقولية: إعلامه بأن الله تعالى يفتح على يديه، فكان كذلك، والفعلية بصاقه في عينه، وكان أرمداً فبرأ من ساعته. وفيه فضائل ظاهرة لعلي رضي الله عنه، وبيان شجاعته، وحسن مراعاته لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحبه الله ورسوله، وحبهما إياه.

٢- الحديث الثاني: القائد الصغير:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثاً، وأمر عليهم أسامة بن زيد فطعن بعض الناس في إمارته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وإيم الله، إن كان خليفاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده). البخاري (٣٧٣٠) مسلم (٢٤٢٦).

فيه ترشيح الشباب وجعلهم قادة مع وجود الأكابر، إذا علم تمكنهم ومقدرتهم. وفضل أسامة ومكانته القيادية والقتالية.

قال في الفتح رحمه الله: وفيه جواز إمارة المولى وتولية الصغار على الكبار والمفضل على الفاضل؛ لأنه كان في الجيش - الذي كان عليهم أسامة - أبو بكر وعمر

٣- الحديث الثالث: المجلس التشاوري :

عن عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك قالت : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَظِيبًا، فَتَشَهَّدَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ : (أَمَّا بَعْدُ ؛ أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أَنْاسِ أَبْنَاءِ أَهْلِي -أي اهتموهم- وَائِمِ اللَّهُ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي مِنْ سُوءٍ قَطُّ، ... البخاري (٤٧٥٧) مسلم (٢٧٧٠).
فيه استحباب مشاورة القائد أصحابه، ودم الاستفراد والاستبداد، وقد حصل ذلك منه في بدر أيضا والحديبية وغيرها . وفعله مصدق للقرآن (وشاورهم في الأمر). سورة آل عمران .

٤- الحديث الرابع : القيادات القدوة:

عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (اقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي : أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرُ). الترمذي (٣٦٦٢).
فيه فضيلة ظاهرة للشيخين رضي الله عنهما، وأنهما على المنهج والسداد دينا وسلوكًا واجتهادا ، وأنهم الأولى بالتقديم .
قيل لحسن سيرتهما ، وصدق سريرتهما وفيه إشارة لأمر الخلافة ، قاله المناوي .

٥- الحديث الخامس : القيادة في السفر:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ، فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ). أبو داود (٢٦٠٨).
فيه أن من أدب السفر التأمير والقيادة، حفظا للألفة، ودرءا للخلاف .
قال الخطابي رحمه الله : إنما أمر بذلك ليكون أمرهم جميعا ، ولا يتفرق بهم الرأي، ولا يقع بينهم الاختلاف .

٦- الحديث السادس : مسؤوليات قيادية:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : (أَلَا كَلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْنُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْنُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْنُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْنُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ

عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ، وَهُوَ مَسْنُورٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْنُورٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ). البخاري (٨٩٣) مسلم (١٨٢٩).

فيه بيان مسؤوليات قيادية، وأن الرعاية جزء من القيادة، وهي تتفاوت. قال الخطابي رحمه الله : اشتركوا؛ أي: الإمام والرجل ومن ذكر في التسمية أي: في الوصف بالراعي، ومعانيهم مختلفة، فرعاية الإمام الأعظم حياة الشريعة بإقامة الحدود والعدل في الحكم، ورعاية الرجل أهله سياسته لأمرهم وإيصالهم حقوقهم، ورعاية المرأة تدبير أمر البيت والأولاد والخدم، والنصيحة للزوج في كل ذلك، ورعاية الخادم حفظ ما تحت يده، والقيام بما يجب عليه من خدمته. وقال النووي رحمه الله: قال العلماء : الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه ، وما هو تحت نظره ، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه ، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته .

٧- الحديث السابع : الحكمة القيادية :

عن كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة بيعة العقبة الثانية المشهورة قال: فصرخ الشيطان هل لكم في مدممٍ والصِّبَا مَعَهُ ، قَدْ أَجْمَعُوا عَلَيَّ حَرْبِكُمْ؟ قَالَ عَلِيٌّ - يَعْنِي ابْنَ إِسْحَاقَ - : مَا يَقُولُ عَدُوُّ اللَّهِ : مُحَمَّدٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " هَذَا أَرَبُ الْعَقْبَةِ، هَذَا ابْنُ أَرَيْبٍ، اسْمِعْ أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ، أَمَا وَاللَّهِ لَأَفْرُغَنَّ لَكَ ". ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اذْفَعُوا إِلَيَّ رِحَالَكُمْ ". قَالَ : فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ عَدَاةِ بْنِ نُضَلَةَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لِنِئْنِ شَيْئًا لَنَمِيلَنَّ عَلَيَّ أَهْلُ مَنِي غَدًا بِأَسْيَافِنَا. قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَمْ أَوْمَرْ بِذَلِكَ " المسند (١٥٧٩٨).

فيه بيان حكمة رسول الله القيادية ، وإيثاره الهدوء على الحماس، والحيطة على الاندفاع، وأن الكثرة تغلب الشجاعة، وما كان لقالة مسلمة جديدة، أن تضطلع بجهد ثقيل في مجتمع وثني، من أول بواكيرها .

٨- الحديث الثامن : الحيطة الأمنية:

عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال : كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَيَّ ضَلَالَةٌ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَيَّ شَيْءٌ، وَهُمْ يَعْْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بَرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَيَّ رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَأَدَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا جِرَاءً عَلَيْهِ قَوْمَهُ، فَتَأَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَنْتَ؟ قَالَ : " أَنَا نَبِيٌّ ".

فَقُلْتُ : وَمَا نَبِيٌّ ؟ قَالَ : " أَرْسَلَنِي اللَّهُ " . فَقُلْتُ : وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ ؟ قَالَ : " أَرْسَلَنِي بِصَلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوحِدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ " . قُلْتُ لَهُ : فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ : " حُرٌّ وَعَبْدٌ " . قَالَ : وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ . فَقُلْتُ : إِنِّي مُتَّبِعُكَ . قَالَ : " إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا ؛ أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ ؟ وَلَكِنْ ارْجِعْ إِلَيَّ أَهْلَكَ، فَإِذَا سَمَعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ، فَأْتِنِي " . قَالَ : فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي، وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، وَكُنْتُ فِي أَهْلِي، فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ . فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ ؟ فَقَالُوا : النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ، وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَعْرِفُنِي ؟ قَالَ : " نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ ؟ " . قَالَ : فَقُلْتُ : بَلَى . فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ ... الحديث . مسلم (٨٣٢) .

فيه فضل عمرو بن عبسة، وتحوط رسول الله من الغرباء والداخلين عليه، حيث لم يُسم أصحابه، ولم يعدد أتباعه، واكتفى بقوله (حرٌّ و عبد) . ولذلك أبهم، وأمره بالكف حتى يسمع بالظهور، وقد كان هو يقول رضي الله عنه عن نفسه: " لقد رأيتني وأنا ربع الإسلام "، قال ابن كثير في البداية والنهاية: " فاعله أخبر أنه ربع الإسلام بحسب علمه، فإن المؤمنين كانوا إذ ذاك يستسرون بإسلامهم، لا يطلع على أمرهم كثير أحد من قراباتهم " .

٩ - الحديث التاسع : فطنة القائد ونباهته:

عن أم سلمة رضي الله عنه : لَمَّا ضَاقَتْ عَلَيْنَا مَكَّةُ، وَأُوذِيَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفَتِنُوا، وَرَأَوْا مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ، وَكَانَ هُوَ فِي مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَعَمِّهِ، لَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يَكْرَهُ مِمَّا يَنَالُ أَصْحَابَهُ . فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ بَارِضَ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ؛ فَالْحَقُوا بِبِلَادِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا . فَخَرَجْنَا إِلَيْهِ أَرْسَالًا، حَتَّى اجْتَمَعْنَا، فَنَزَلْنَا بِخَيْرِ دَارٍ إِلَى خَيْرِ جَارٍ، أَمِنًا عَلَى دِينِنَا . البيهقي (١٦ / ٩) . وسنده صحيح .

فيه فطنة القائد ودرأيته بالواقع المعيش، والخارطة الجغرافية من حوله وسماتها وأهلها، واستفادته من ذلك مخارج وعلاقات، وفي القرآن: (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) سورة النساء .

١٢- الحديث الثاني عشر : الإصغاء للقائد :

عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ اسْتَعْمَلَ حَبَشِيٌّ كَانَ رَأْسَهُ زَبِيْبَةً). البخاري (٦٩٣).
فيه وجوب الإصغاء للقائد ، ولو كره منهجه أو شكله درءاً للفتنة والخلاف .
قال النووي: قال العلماء : معناه ما داموا متمسكين بالإسلام والدعاء إلى كتاب الله تعالى على أي حال كانوا في أنفسهم وأديانهم وأخلاقهم ، ولا يشق عليهم العصا .

١٣- الحديث الثالث عشر : القادة العباقرة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلْبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ، فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي فُحَّافَةَ، فَنَزَعَ بِهَا دُنُوبًا أَوْ دُنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ضَعْفَهُ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا ، فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمَّ أَرَّ عِبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بَعْطَنٍ). البخاري (٣٦٦٤) مسلم (٢٣٩٢).

فيه بيان القادة العباقرة، السادة الموفقون من الله تعالى .
قال في الفتح: " قال في المشارق: العبقرى: النافذ الماضى الذى لا شيء يفوقه. قال أبو عمر: وعبقرى القوم: سيدهم وقيمهم وكبيرهم وقال الفراء: العبقرى: السيد والفاخر من الحيوان والجوهر والبساط المنقوش، وقيل: هو منسوب إلى عبقر: موضع بالبادية، وقيل: قرية يعمل فيها الثياب البالغة الحسن والبسط، وقيل: نسبة إلى أرض تسكنها الجن، تضرب بها العرب المثل في كل شيء عظيم. قاله أبو عبيد،.."
وقال النووي رحمه الله: قال العلماء : هذا المنام مثال واضح لما جرى لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما في خلافتهما ، وحسن سيرتهما ، وظهور آثارهما ، وانتفاع الناس بهما ، وكل ذلك مأخوذ من النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن بركته وآثار صحبته ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم هو صاحب الأمر ، فقام به أكمل قيام ، وقرر قواعد الإسلام ، ومهد أموره ، وأوضح أصوله وفروعه ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وأنزل الله تعالى : { اليوم أكملت لكم دينكم } ..!

١٤- الحديث الرابع عشر : الاختيار والاستثناء:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَسْتَعْمَلُنِي. قَالَ : فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ : (يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ،

وَأَنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا). مسلم (١٨٢٥).

فيه أن القيادة تحوي الاصطفاء والاستثناء، وأن هنالك أشخاصا لا تصلح لهم .

قال النووي رحمه الله: هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات ، لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية ، وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلا لها ، أو كان أهلا ولم يعدل فيها فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه ، ويندم على ما فرط ، وأما من كان أهلا للولاية ، وعدل فيها ، فله فضل عظيم ، تظاهرت به الأحاديث الصحيحة كحديث : " سبعة يظلهم الله " .

١٥- الحديث الخامس عشر : القائد المُلهم :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنْ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ ، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ). البخاري (٣٤٦٩) مسلم (٢٣٩٨).

قال النووي رحمه الله: واختلف تفسير العلماء للمراد بـ " محدثون " ، فقال ابن وهب : ملهمون ، وقيل : مصيبون ، وإذا ظنوا فكأنهم حدثوا بشيء فظنوا ، وقيل : تكلمهم الملائكة ، وجاء في رواية : " متكلمون " ، وقال البخاري : يجري الصواب على ألسنتهم ، وفيه إثبات كرامات الأولياء .

١٦- الحديث السادس عشر : ثقة القائد :

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِ قَالَ : شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بَرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ : أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ : (كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمُنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِأَنْتَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الدِّئْبَ عَلَى عُنُقِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ). البخاري (٣٦١٢).

فيه ثقة القائد واطمئنانه بوعد ربه، وأن النصر آت، والظهور قريب ، مهما اشتدت الأرزاء، وعظم البلاء، وأن مثلها لا يزيد المؤمن إلا يقينا بالنصر،

واستينافا في الظهور والتمكين، فمن الضروري اجتمال الضربات، وطول النفس، والتلذذ بالوقائع، حتى تكتمل الحجة، وتظهر المحجة .

١٧- الحديث السابع عشر : تطلب القيادات :

عن كعب رضي الله عنه في قصة البيعة وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَخْرَجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا يَكُونُونَ عَلَيَّ قَوْمِهِمْ) ، فَأَخْرَجُوا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ، مِنْهُمْ تِسْعَةٌ مِنَ الْخَزْرَجِ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوْسِ ... الحديث. المسند (١٥٧٩٨) وقد تقدم وسنده حسن .

فيه استعمال القيادات وتطلبهم، حتى يكونوا نوابًا على أقوامهم ، فيستفاد منهم العون والمؤازرة والمشاورة .

١٨- الحديث الثامن عشر: الحضور القيادي في الأزمات :

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ ، وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً ، فَخَرَجُوا نَحْوَ الصَّوْتِ ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ اسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عَزِي ، وَفِي عُنُقِهِ السَّيْفُ . وَهُوَ يَقُولُ : " لَمْ تُرَاعُوا ، لَمْ تُرَاعُوا " . ثُمَّ قَالَ " وَجَدْنَاهُ بَحْرًا " . أَوْ قَالَ : " إِنَّهُ لَبَحْرٌ " . البخاري (٢٩٠٨) مسلم (٢٣٠٧).

فيه حضور القيادة في الأزمات، وأنها مسؤولة وتبعة، ومثل ذلك يدفع كل تهمة ونقد، ودليل على الاستحقاق والاهتمام .

قال النووي رحمه الله: وفيه فوائد ، منها : بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم من شدة عجلته في الخروج إلى العدو قبل الناس كلهم ، وبحيث كشف الحال ، ورجع قبل وصول الناس ، وفيه بيان عظيم بركته ومعجزته في انقلاب الفرس سريعا بعد أن كان يبطأ ، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم : " وجدناه بحرا " أي : واسع الجري ، وفيه جواز سبق الإنسان وحده في كشف أخبار العدو ما لم يتحقق الهلاك !!

١٩- الحديث التاسع عشر : احتواء الوجهاء والقادة :

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قَبْلَ نَجْدٍ ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ : ثُمَامَةَ بْنُ أَثَالٍ سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : " مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةَ ؟ " فَقَالَ : عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ إِنْ تَقَتَّلْتُ نَدَا دِمٍ ، وَإِنْ تَنَعَّمْتُ تَنَعَّمْتُ عَلَى شَاكِرٍ ، وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ

الْمَالِ فَسَلَّ تُعْطَى مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْعَدِ، فَقَالَ: " مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةَ؟ " قَالَ: " مَا قُلْتُ لَكَ؛ إِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرًا، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلَّ تُعْطَى مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ مِنَ الْعَدِ، فَقَالَ: " مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةَ؟ " فَقَالَ: " عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ؛ إِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرًا، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلَّ تُعْطَى مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَطْلِقُوا ثَمَامَةَ ". فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاعْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ، مَا كَانَ عَلَيَّ الْأَرْضُ وَجْهًا أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدَكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَإِنْ خَيْلِكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: أَصَبَوْتَ؟ فَقَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ، حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

البخاري (٤٣٧٢) مسلم (١٧٦٤).

فيه حُسن خلقه عليه الصلاة والسلام مع الوجهاء وفضل احتوائهم، وأن هدايتهم نصرة للدين، وتكثير للأتباع.

وقال في الفتح رحمه الله: وفي قصة ثمامة من الفوائد:

ربط الكافر في المسجد، والمن على الأسير الكافر وتعظيم أمر العفو عن المسيء؛ لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حبا في ساعة واحدة لما أسداه النبي صلى الله عليه وسلم إليه من العفو والمن بغير مقابل.

وفيه: الاغتسال عند الإسلام وأن الإحسان يزيل البغض ويثبت الحب، وأن الكافر إذا أراد عمل خير ثم أسلم شرع له أن يستمر في عمل ذلك الخير. وفيه: الملاطفة بمن يرجى إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام، ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه.

٢٠- الحديث العشرون: التطوع المالى:

عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنَّمَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَاتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، أَسْلَمُوا، فَوَاللَّهِ إِنْ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ. فَقَالَ أَنَسٌ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيْسَ لَهُ مَا يُرِيدُ إِلَّا

الدُّنْيَا، فَمَا يُسَلِّمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا.
مسلم (٢٣١٢).

وفي قصة حنين : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ ، قَالَ : لَمَّا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمَوْلَفَةِ قُلُوبُهُمْ ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا... وفيه: (أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وتذهبون بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار..) البخاري (٤٣٣٠) مسلم (١٠٦١).

فيه تطويع الناس والتأثير فيهم بالبريق المالي، الذي يصنع ما لاتصنعه الخطب والعلاقات، وهو دليل سماحة القائد وزهده، وسمو أهدافه . وأنه لا شيء يلوي الأعناق، ويكسر العيون كالمال وحسن استعماله في سبله . قال النووي رحمه الله: " والمراد : أنه يظهر الإسلام أولاً للدنيا ، لا بقصد صحيح بقلبه ، ثم من بركة النبي صلى الله عليه وسلم ونور الإسلام لم يلبث إلا قليلاً حتى ينشرح صدره بحقيقة الإيمان ، ويتمكن من قلبه ، فيكون حينئذ أحب إليه من الدنيا وما فيها " .

٢١- الحديث الواحد والعشرون: التعظيم القيادي :

عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم في قصة صلح الحديبية ، وفيه: فَقَالَ عروة بن مسعود : أَيُّ قَوْمٍ ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ ، وَكِسْرَى ، وَالنَّجَاشِيِّ ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلَكًا فَطَّ يَعْظُمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يَعْظُمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا ، وَاللَّهِ إِنْ تَنَحَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَّكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإِذَا تَوَضَّأُوا كَادُوا يَفْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ ، وَمَا يُحَدِّثُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ ؛ تَعْظِيمًا لَهُ ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةً رُشِدٍ فَأَقْبَلُوهَا... الحديث. البخاري (٢٧٣٢).

فيه تعظيم الأتباع لقادتهم، وإغاظة الأعداء بذلك واندھاشهم من تلك الهيئة والتوقير، وأن القائد كلما كبرت مكانته بين أصحابه فقد عظم أمره، وحسنت إدارته .

٢٢- الحديث الثالث والعشرون : الترتيب القيادي :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأَصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأَصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ

رَوَا حَةَ فَأُصِيبَ). وَإِنَّ عَيْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَدْرِفَانِ، " ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنْ غَيْرِ أَمْرَةٍ فَفُتِحَ لَهُ. البخاري (١٢٤٦).
فيه بيان درجات القادة وترتيبهم، وأن بعض المهام تقتضي تكليفهم وترتيبهم درءاً للخلاف والمنازعات.

٢٤- الحديث الرابع والعشرون إكرام القادة وتبجيلهم:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَنَسًا نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا بَلَغَ قَرِيبًا مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قَوْمُوا إِلَى خَيْرِكُمْ " أَوْ " سَيِّدِكُمْ)، فَقَالَ: " يَا سَعْدُ، إِنَّ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ " . قَالَ: فَأَنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ، وَتُسَبَى ذُرَارِيُّهُمْ. قَالَ: " حَكَمْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ "، أَوْ " بِحُكْمِ الْمَلِكِ " . البخاري (٣٨٠٤) مسلم (١٧٦٨).

فيه فضل سعد بن معاذ رضي الله عنه، وأنه من القادة المكرمين ذوي الكلمة والسيادة، وفي ذلك دليل على التبجيل وحسن الطاعة والرعاية.
قال في الفتح: قال ابن بطال: في هذا الحديث أمر الإمام الأعظم بإكرام الكبير من المسلمين ومشروعية إكرام أهل الفضل في مجلس الإمام الأعظم والقيام فيه لغيره من أصحابه وإلزام الناس كافة بالقيام إلى الكبير منهم.
قال النووي رحمه الله: " فيه: إكرام أهل الفضل وتلقيهم بالقيام لهم إذا أقبلوا، هكذا احتج به جماهير العلماء لاستحباب القيام، قال القاضي: وليس هذا من القيام المنهي عنه، وإنما ذلك فيمن يقومون عليه وهو جالس، ويمثلون قياماً طول جلوسه، قلت: القيام للقادم من أهل الفضل مستحب، وقد جاء فيه أحاديث، ولم يصح في النهي عنه شيء صريح، وقد جمعت كل ذلك مع كلام العلماء عليه في جزء وأجبت فيه عما توهم النهي عنه. والله أعلم "

٢٥- الحديث الخامس والعشرون: فنّ اتخاذ القرار والحسم:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعِ حَصِينَةَ، وَرَأَيْتُ بَقْرًا مُنْحَرَةً، فَأَوَّلْتُ أَنْ الدِّرْعُ الْحَصِينَةَ الْمَدِينَةَ، وَأَنَّ الْبَقْرَ نَفْرٌ وَاللَّهُ خَيْرٌ " . قَالَ: فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: " لَوْ أَنَّا أَقَمْنَا بِالْمَدِينَةِ، فَإِنْ دَخَلُوا عَلَيْنَا فِيهَا قَاتَلْنَاهُمْ " . فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا دَخَلَ عَلَيْنَا فِيهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَيْفَ يَدْخُلُ عَلَيْنَا فِيهَا فِي الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ: " شَأْنُكُمْ إِذَنْ " . قَالَ: فَلَبَسَ لِأَمْتِهِ-أَيِ دَرْعِهِ-، قَالَ: فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: رَدَدْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْيَهُ. فَجَاءُوا فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ

اللَّهِ، شَأْنُكَ إِذْنٌ. فَقَالَ : " إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيِّ إِذَا لَيْسَ لِأُمَّتِهِ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ). المسند (١٤٧٨٧) الدارمي (٢٢٠٥).
فيه فن اتخاذ القرار المناسب، وأن التحصن في المكان أولى من الهجوم، ولكن لما كان رأي الأكثرية الهجوم والخروج نزل على رأيهم، واتخذ لذلك عدته .

٢٦- الحديث السادس والعشرون: القيادة النسائية :

عن أبي بكره رضي الله عنه قال : لَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَهْلَ فَارِسٍ قَدْ مَلَكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتُ كِسْرَى قَالَ : (لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ، وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ) البخاري (٤٤٢٥).

فيه دليل على ضعف قيادة المرأة، وأنها لا تقوم مقام الرجال في الصبر والتحمل والمصالحة، لعاطفتها وسهولة إغرائها .
قال في الفتح: قال الخطابي: في الحديث : أن المرأة لا تلي الإمارة ولا القضاء. وفيه أنها لا تزوج نفسها، ولا تلي العقد على غيرها، كذا قال، وهو متعقب، والمنع من أن تلي الإمارة والقضاء قول الجمهور، وأجازه الطبري وهي رواية عن مالك، وعن أبي حنيفة تلي الحكم فيما تجوز فيه شهادة النساء. ومناسبة هذا الحديث للترجمة من جهة أنه تنمة قصة كسرى الذي مزق كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فسلب الله عليه ابنه فقتله ثم قتل إخوته حتى أفضى الأمر بهم إلى تأمير المرأة، فجر ذلك إلى ذهاب ملكهم ومزقوا كما دعا به النبي صلى الله عليه وسلم .

٢٧- الحديث السابع والعشرون: سيد القادة :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (أَنَا قَائِدُ الْمُرْسَلِينَ وَلَا فُخْرَ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَلَا فُخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَقَّعٍ وَلَا فُخْرَ). الدارمي (٥٠) .
فيه شرف رسول الله على الجميع، وأنه سيد المرسلين، وقائد النبيين ، وتحدث المرء عن نفسه إذا أمن الفتنة .

٢٨- الحديث الثامن والعشرون: السيادة يوم القيامة :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَنَا سَيِّدٌ وَوَلَدٌ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فُخْرَ، وَبِيَدِي لُؤَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فُخْرَ..) البخاري (٢٤١٢) مسلم (٢٣٧٣) الترمذي واللفظ له (٣١٥٨).

فيه سيادة رسول الله يوم القيامة وإذعان الناس له بذلك ، حيث يكون إمامهم والمتحدث عنهم، والشافع المشفع في الخلاق، وهو المقام المحمود، والمرفوع به على سائر الناس . قال تعالى: (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) سورة الإسراء .

٢٩- الحديث التاسع والعشرون : القيادة عند الأعداء :

عن أنس رضي الله عنه في قصة الهجرة وإسلام عبدالله بن سلام رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، وَيَلَّكُمْ اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقِّ، فَاسْلَمُوا " . قَالُوا : مَا نَعْلَمُهُ . قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَارٍ، قَالَ : " فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ؟ " قَالُوا : ذَاكَ سَيِّدُنَا، وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَأَعْلَمْنَا، وَابْنُ أَعْلَمْنَا . قَالَ : " أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ ؟ " قَالُوا : حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسَلَّمَ . قَالَ : " أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ ؟ " قَالُوا : حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسَلَّمَ . قَالَ : " أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ ؟ " قَالُوا : حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسَلَّمَ . قَالَ : " يَا ابْنَ سَلَامٍ، أَخْرَجْ عَلَيْهِمْ) . فَخَرَجَ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقِّ . فَقَالُوا : كَذَبْتَ . فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . البخاري (٣٩١١) .

فيه بيان فضل عبدالله بن سلام رضي الله عنه، وأنه من سادة اليهود وقادتهم، وأن العلم سبب للقيادة والتبجيل .

٣٠- الحديث الثلاثون: تواضع القادة:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا مُحَمَّدُ، يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، وَخَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاكُمْ، لَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ) . المسند (١٢٥٥١) .

فيه أن التواضع من شيم الكبار والقادة، وأن زعامتهم لا تعني الغرور والترفع على الناس، والتنزه عن الألقاب الفارغة من معاني القيادة والعمل وحزم الأمور .

٣١- الحديث الواحد والثلاثون: السيادة في الجنة:

عَنْ عَلِيٍّ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : (أَبُو بَكْرٍ ، وَعَمْرٌ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، مَا خَلَا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، لَا تُخْبِرُهُمَا يَا عَلِيُّ) . الترمذي (٣٦٦٦) .

فيه منقبة للشيخين رضي الله عنهما، وأنهما سادات المتقين في الجنة ، فضلا ومكانة وشرفاً، قال في " لسان العرب: " والسَّيِّدُ يُطْلَقُ عَلَى الرَّبِّ وَالْمَالِكِ وَالشَّرِيفِ وَالْفَاضِلِ وَالْكَرِيمِ وَالْحَلِيمِ وَمُحْتَمَلٌ أَدَى قَوْمِهِ وَالزَّوْجِ وَالرَّئِيسِ وَالْمَقْدَمِ "

وقال في التحفة رحمه الله: " وقال الجزري في النهاية: الكهل من الرجال من زاد على ثلاثين سنة إلى الأربعين وقيل: من ثلاث وثلاثين إلى تمام الخمسين، وقد اكتهل الرجل وكاهل إذا بلغ الكهولة فصار كهلا، وقيل: أراد بالكهل هاهنا الحليم العاقل أي: أن الله يدخل أهل الجنة الجنة حلما عقلاء "

٣٢- الحديث الثاني والثلاثون: توريث السيادة:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ) . الترمذي (٣٧٦٨) .
فيه فضل الحسن والحسين رضي الله عنهما، وبيان سيادتهما، وأن السيادة قد تورث فسيدهم الأعظم رسولنا الكريم، وهو سيد ولد آدم، ووالدهم علي رضي الله عنه من مستحقي السيادة والقيادة .
والسيادة هنا الفضل والشرف ، وجاء في " لسان العرب : " والسَّيِّدُ يُطْلَقُ عَلَى الرَّبِّ وَالْمَالِكِ وَالشَّرِيفِ وَالْفَاضِلِ وَالْكَرِيمِ .. كما تقدم .

٣٣- الحديث الثالث والثلاثون: تعيين السادة :

أَخْبَرَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : كَانَ عَمْرٌ يَقُولُ : أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا . وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا ، يَعْنِي : بِلَالًا . البخاري (٣٧٥٤) .
فيه تعيين السادة واختيارهم من قبل الفضلاء، حيث تسطع صفاتهم، وتظهر مكانتهم . وسيادة أبي بكر ظاهرة بسبقه في الإسلام وكرمه الدعوي ، ومناصرتة رسول الله، وترشيحه للخلافة . وأما بلال فلصبره المتين، وكونه من السابقين واختياره للأذان . وربما قال ذلك على سبيل التواضع .

٣٤- الحديث الرابع والثلاثون : كرم القيادة:

عن جابر رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من سيّدكم يا بني سلمة ؟ قلنا : جدُّ بن قيسٍ على أنا نبخله ، قال : و أيُّ داءٍ أدوى من البخل ؟ بل سيّدكم عمرو بن الجموح). البخاري في الأدب المفرد (٢٩٦) والطبراني في الأوسط (٨٩١٣) .

فيه عدم الاعتماد على القادة البخلاء، وأن من صفات القائد الكرم والسماحة، وأن البخل داء يعجز عن تطويع الناس وفنون إدارتهم . وهو صاحب العرجة المشهور، المقدم الجسور .

وقد أنشد أحد شعراء الأنصار في ذلك، فقال :

وقال رسولُ الله والحقُّ قوله... لمن قال منا: من تعدون سيّدا؟!

فقالوا له جدُّ بن قيسٍ على التي... نبخله فينا وما كان أسودا

فسود عمرو بن الجموح لجوده... وحقّ لعمرو بالندى أن يسودا

إذا جاءه السؤالُ أذهب ماله... وقال : خذوه إنه عائد غدا

٣٥- الحديث الخامس والثلاثون : اختيار الأكفاء قيادياً :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : سَمِعَ مَا قَالَ فَكَّرَهُ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ، قَالَ : (أَيْنَ أَرَاهُ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ ؟ " قَالَ : هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : " فَإِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ " . قَالَ : كَيْفَ إِضَاعَتُهَا ؟ قَالَ : " إِذَا وُسِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ) . البخاري (٥٩) .

فيه وجوب اختيار الأكفاء، المناسبين لشؤون الناس، وأن توسيد الأمور إنما هو لمن صلح دينه، وبرزت مهارته وأمانته، وكان قادراً . قال تعالى: (إن خير من استأجرت القوي الأمين) سورة القصص. وأن تولية من دون ذلك، أو عُرف بالطيش من علامات الساعة ، والله المستعان .

٣٦- الحديث السادس والثلاثون: المقدمات القيادية :

عن عائشة رضي الله عنها في قصة نزول الوحي قالت: فقال رسول الله: (أيُّ خديجة، ما لي لقد خشيت على نفسي " . فأخبرها الخبر، قالت خديجة : كلاً، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، فوالله، إنك لتصل الرحم، وتصدق

الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكُلَّ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ... الحديث . البخاري (٤٩٥٣) مسلم (١٦٠).
فيه أن احتواء الناس والسيطرة عليهم يكون بمقدمات أخلاقية، وسمات اجتماعية، من الأهمية تحصيلها للقادة والزعماء . وأن فقدانها مما يزهّد الخليفة فيهم .

٣٧- الحديث السابع والثلاثون : المشاركة التطوعية:

عَنْ الْبِرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ يَنْقُلُ التُّرَابَ، وَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بِيَاضَ بَطْنِهِ وَهُوَ يَقُولُ :
" لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْنَا وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَأَقَيْنَا
إِنَّ الْأَلَى قَدْ بَعَّوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا " .
البخاري (٢٨٣٧) مسلم (١٨٠٣) .

فيه مشاركة القائد أصحابه العمل، وفضل العمل التطوعي، وتواضع رسول الله، وتحقيق الانتماء إلى الجماعة والصحة، ورضاهم ومحبتهم له، مما يعني تقوية البنيان وتحقيق التماسك . وقد قيل: سيد القوم خادمهم .

٣٨- الحديث الثامن والثلاثون: فهم الشخصيات وتخصصاتها :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أَبِي بَنْ كَعْبٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ).. الترمذي (٣٧٩١) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

فيه اكتشاف القائد لأصحابه، وفهمه لميولهم وتخصصاتهم، وهذا دليل فطنته، ومخالطته لهم، ووعي ذلك يعينه على حسن الإدارة، وتوزيع المسؤوليات .

٣٩- الحديث التاسع والثلاثون : بُعد النظر القيادي :

عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، قَالَ : قَامَ سَهْلُ بْنُ حَنْيَفٍ يَوْمَ صِفِّينَ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهَمُوا أَنْفُسَكُمْ ؛ لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَنَّا، وَذَلِكَ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ ؟ قَالَ : " بَلَى " . قَالَ : أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ ؟ قَالَ : " بَلَى " . قَالَ : فَفِيمَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ؟ فَقَالَ : " يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا " . قَالَ : فَانْطَلِقْ عُمْرُ فَلَمْ يَصْبِرْ مُتَغَيِّظًا، فَأَتَى أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ، وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ، وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : فَعَلَامَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ؟ فَقَالَ : يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا . قَالَ : فَانزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفَتْحِ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ، فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ فَتَحَ هُوَ ؟ قَالَ : " نَعَمْ " . فَطَابَتْ نَفْسُهُ، وَرَجَعَ . البخاري (٤٨٤٤) مسلم (١٧٨٥) .

فيه بُعد نظر القائد الحصيف، ونظرته الثاقبة في فهم الأحداث ومآلاتها ، واحتمال مفسد قليلة لتحقيق مصالح أكبر .

قال النووي رحمه الله: أراد بهذا تصبير الناس على الصلح ، وإعلامهم بما يرجى بعده من الخير ، فإنه يرجى مصيره إلى خير ، وإن كان ظاهره في الابتداء مما تكرهه النفوس ، كما كان شأن صلح الحديبية ، وإنما قال سهل هذا القول حين ظهر من أصحاب علي رضي الله عنه كراهة التحكيم ، فأعلمهم بما جرى يوم الحديبية من كراهة أكثر الناس الصلح ، وأقوالهم في كراهته ، ومع هذا فأعقب خيرا عظيما ، فقررهم النبي صلى الله عليه وسلم على الصلح مع أن إرادتهم كانت مناجزة كفار مكة بالقتال ، ولهذا قال عمر رضي الله عنه : " فعلام نعطي الدنية في ديننا " . والله أعلم .

٤٠ - الحديث الأربعون : ثبات القائد:

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِلْبَرَاءِ : يَا أَبَا عُمَارَةَ، أَفَرَرْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا وَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنَّهُ خَرَجَ شَبَّانَ أَصْحَابِهِ، وَأَخْفَاوَهُمْ حُسْرًا لَيْسَ عَلَيْهِمْ سِلَاحٌ، أَوْ كَثِيرُ سِلَاحٍ، فَلَفُّوا قَوْمًا رُمَاءً لَا يَكَادُ يَسْقُطُ لَهُمْ سَهْمٌ جَمَعَ هَوَازِنَ، وَبَنِي نَصْرٍ، فَرَشَقُوهُمْ رَشَقًا مَا يَكَادُونَ يُخْطِنُونَ، فَأَقْبَلُوا هُنَاكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَفُودُ بِهِ، فَنَزَلَ، فَاسْتَنْصَرَ، وَقَالَ : " أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ " ثُمَّ صَفَّهُمْ . البخاري (٢٨٦٤) مسلم (١٧٧٦) .

فيه عظم ثبات القائد واستلهم ذلك من شخصية رسول الله ومواقفه، وأن ثباته أولى مقدمات النصر .

قال في الفتح: " وفيه ركوب البغلة إشارة إلى مزيد الثبات؛ لأن ركوب الفحولة مظنة الاستعداد للفرار والتولي، وإذا كان رأس الجيش قد وطن نفسه على عدم الفرار وأخذ بأسباب ذلك كان ذلك أدعى لأتباعه على الثبات.

وفيه : شهرة الرئيس نفسه في الحرب، مبالغة في الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو.

٤١ - الحديث الواحد والأربعون : التورية القيادية :

عن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلَمًا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلَّا وَرَى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ، فَعَزَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرِّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا ، وَاسْتَقْبَلَ غَزْوً عَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةً عَدُوَّهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ. البخاري (٢٩٤٨) مسلم (٢٧٦٩).

فيه جواز التورية في الحروب وأن ذلك من أشكال الفطنة القيادية، حفاظا على الأسرار ، ومباغطة للأعداء .

ومعنى ورى: أوهم غيرها، والتورية أن يذكر لفظا يحتمل معنيين، أحدهما أقرب من الآخر فيوهم إرادة القريب وهو يريد البعيد. قال النووي رحمه الله: " فيه أنه ينبغي لأمير الجيش إذا أراد غزوة أن يوري بغيرها ؛ لئلا يسبقه الجواسيس ونحوهم بالتحذير ، إلا إذا كانت سفرة بعيدة ، فيستحب أن يعرفهم البعد ليتأهبوا .

٤٢ - الحديث الثاني والأربعون : الصبر على الجماهير :

عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ النَّاسُ مُقْبِلًا مِنْ حُنَيْنٍ، عَلَقَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ، حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمْرَةَ، فَخَطَفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : (أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ عَدُوُّ هَذِهِ الْعِضَاءِ نَعْمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بِخِيَلًا، وَلَا كَدُوبًا، وَلَا جَبَانًا). البخاري (٣١٤٨).

فيه ما ينبغي أن يكون عليه القائد من الصبر والاحتمال على أذى الناس. قال النووي رحمه الله: وأن إمام المسلمين لا يصلح أن يكون فيه خصلة منها. وفيه ما كان في النبي صلى الله عليه وسلم من الحلم وحسن الخلق وسعة الجود والصبر على جفاة الأعراب. وفيه جواز وصف المرء نفسه بالخصال الحميدة عند الحاجة كخوف ظن أهل الجهل به خلاف ذلك، ولا يكون ذلك من الفخر المذموم.

٤٣ - الحديث الثالث والأربعون : التراجع في الاختيار :

عن رجال من بني سلمة : رأيت هذا المنزل، أمزلاً أنزلك الله، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. قال يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل، امض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فنعسكر فيه، ثم نعوذ ما وراءه من الآبار، ثم نبنى عليه حوضاً فتملأه ماءً، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أشرت بالرأي، ثم أمر بإنفاده، فلم يجر نصف الليل حتى تحولوا كما رأى الحباب، وامتلكوا مواقع الماء. «سيرة ابن هشام» (١/٦٢٠)، والطبري في «تاريخه» (٢/٢٩).

فيه تراجع القائد في رأيه واختياره، وتركه العناد، وتواضع رسول الله عليه الصلاة والسلام وإصغائه لأصحابه. ويروى من طرق مرسله، أن ذلك الرجل هو الحباب بن المنذر رضي الله عنه ...

قال ابن بطال في "شرح صحيح البخاري" (١٠/٣٥٦): "وقد ثبت عنه (صلى الله عليه وسلم) أنه اجتهد في أمر الحروب وتنفيذ الجيوش، وقدر الإعطاء للمؤلفة قلوبهم، وأمر ب نصب العريش يوم بدر في موضع، فقال له الحباب بن المنذر: أبوحى نصبته هنا أم برأيك؟ فقال: بل برأيي. قال: الصواب نصبه بموضع كذا. فسماه النبي صلى الله عليه وسلم: ذا الرأيين. فعمل برأيه ولم ينتظر الوحي " انتهى .

٤٤ - الحديث الرابع والأربعون : اكتناف القائد وحمايته:

عَنْ أُمِّ الْخُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، تَقُولُ : حَجَّجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَّةَ الْوُدَاعِ ، فَرَأَيْتُهُ حِينَ رَمَى جَمْرَةَ الْعَقْبَةِ ، وَأَنْصَرَفَ ، وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، وَمَعَهُ بِلَالٌ ، وَأَسَامَةُ ؛ أَحَدُهُمَا يَقُودُ بِهِ رَاحِلَتَهُ ، وَالْآخَرُ رَافِعٌ

ثَوْبَهُ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَّمْسِ، قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلًا كَثِيرًا، .. مسلم (١٢٩٨).
فيه استحباب اكتناف القائد وحمايته من الأعداء والجهال، وذاك مسؤولية أصحابه وأتباعه .

٤٥ - الحديث الخامس والأربعون : هيبة القائد ومجلسه:

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ كَانُوا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ، فَسَلَّمْتُ ثُمَّ قَعَدْتُ، . أبو داود (٣٨٥٥).
فيه بيان هيبة مجالس القادة، وتأدب الناس عنده .

قال في النهاية: وصفهم بالسكون والوقار ، وأنهم لم يكن فيهم طيش ولا خفة؛ لأن الطير لا تكاد تقع إلا على شيء ساكن .

٤٦ - الحديث السادس والأربعون : يقظة القائد :

في قصة عمرو بن عبسة رضي الله عنه المتقدمة: فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَعْرِفُنِي ؟ قَالَ : (نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقَيْتَنِي بِمَكَّةَ ؟) . قَالَ : فَقُلْتُ : بَلَى . فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ ... مسلم (٨٣٢).

فيه نباهة القادة ويقظتهم حول كل ما يمر عليهم من مواقف وشخصيات، وأن الضبط القيادي يتطلب معرفة غالب الأمور، والداخل والخارج، والتركيز المطلق .

٤٧ - الحديث السابع والأربعون : ابتدار القيادة :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَى زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبْرُهُمْ، فَقَالَ : (أَخَذَ الرَّأْيَةَ زَيْدٌ فَأَصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأَصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأَصِيبَ - وَعَيْنَاهُ تَدْرِفَانِ - حَتَّى أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) . البخاري (٣٧٥٧) .

فيه ابتدار القيادة عند الضرورة، وإنقاذ الموقف، لمن كانت له أهلية واجتمع عليه الناس .

قال في الفتح رحمه الله: وفيه : جواز التأمير في الحرب بغير تأمير، قال الطحاوي: هذا أصل يؤخذ منه أن على المسلمين أن يقدموا رجلا إذا غاب الإمام يقوم مقامه إلى أن يحضر .

وفيه : جواز الاجتهاد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وفيه علم ظاهر من أعلام النبوة، وفضيلة ظاهرة لخالد بن الوليد ولمن ذكر من الصحابة.

٤٨- الحديث الثامن والأربعون : الهدوء في الشدائد :

سَمِعْتُ سُلَيْمَانَ بْنَ صُرْدٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ حِينَ أَجَلَى الْأَحْزَابَ عَنْهُ : (الْآنَ نَعْرُوهُمْ وَلَا يَغْرُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ). البخاري (٤١١٠).

فيه الهدوء وقت الشدة، وثقة القائد بموعد الله، ومن ثماره الثقة بالنفس والاطمئنان بالمنهج المتبع ، فيتحول من مقام الدفاع إلى الهجوم، مما ينعكس على الأتباع ، فتعلو هممهم، وتزكو نفوسهم . قال في الفتح: " وفيه إشارة إلى أنهم رجعوا بغير اختيارهم بل بصنع الله تعالى لرسوله، وذكر الواقدي أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك بعد أن انصرفوا، وذلك لسبع بقين من ذي القعدة، وفيه علم من أعلام النبوة فإنه صلى الله عليه وسلم اعتمر في السنة المقبلة فصدته قريش عن البيت ووقعت الهدنة بينهم إلى أن نقضوها فكان ذلك سبب فتح مكة، فوقع الأمر كما قال صلى الله عليه وسلم . وأخرج البزار بإسناد حسن من حديث جابر شاهدا لهذا الحديث ولفظه " أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب وقد جمعوا له جموعا كثيرة: لا يغزونكم بعد هذا أبدا، ولكن أنتم تغزونهم ".

٤٩- الحديث التاسع والأربعون: خواص القائد :

عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ : سَمِعْتُ عَمَّتِي-أَي عَائِشَةَ- تَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ عَمَلًا فَأَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرًا صَالِحًا، إِنْ نَسِيَ ذَكَرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ). أبو داود (٢٩٣٢) النسائي (٤٢٠٤). وهذا لفظه .

فيه فضيلة اختيار الخواص الصالحين في المهام والأعمال ، لما فيهم من إعانة صادقة، ونصح بليغ، وتذكير عزيز .

٥٠- الحديث الخمسون: تصدير العلماء :

عَنْ عَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ : أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بَعْضَ نَفْسَانِ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمَلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ : مَنْ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي ؟ فَقَالَ : ابْنُ أَبِي زَيْ. قَالَ : وَمَنْ ابْنُ أَبِي زَيْ ؟ قَالَ : مَوْلَى مِنْ مَوَالِينَا. قَالَ : فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلَى ؟ قَالَ : إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ.

قَالَ عُمَرُ : أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ : (إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ) . مسلم (٨١٧) .
 فيه استحباب تصدير العلماء وتسويدهم، لعلمهم وأمانتهم ، إذا صلحوا لذلك،
 وإلا فإن فئات منهم قد لا تصلح للقيادة وضبط الأمور ، فهو يختلف باختلاف الأشخاص والأزمنة .
 ومنقبة لعبد الرحمن بن أبزي الخزاعي مولاهم، وما اتصف به من العلم والفضل .

**تم بحمد الله وتوفيقه الأربعون القيادية من
 منتقيات السنة النبوية ..**